



أرنبوب يزرع الحمير

بقلم : عبد الحميد عبد القصود
بريشة : عبد الشافي سيد



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للتطبوع والنشر والتوزيع
T. 00964 - 2209991 - 0904244
بغداد - العراق

كَانَ الْعَمُّ دَرُوشُ رَجُلًا فَقِيرًا بَائِسًا ، وَبِرْغَمَ أَنَّهُ كَانَ يَعْمَلُ
حَمَارًا ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَمْتَلِكُ حِمَارًا وَاحِدًا ، لَكِنَّهُ اسْتَأْجَرَ ثَلَاثَةَ
حَمِيرٍ مِنْ تَعْلُوبِ الْجَشَعِ ، لِنَقْلِ أَحْمَالِ النَّاسِ مِنَ الْقَرْيَةِ إِلَى
الْمَدِينَةِ نَظِيرَ نِصْفِ الدُّخْلِ الَّذِي يَحْصِلُ عَلَيْهِ مِنْ عَمَلِهِ الشَّاقِّ ،
بَيْنَمَا يَتَكَفَّلُ بِإِطْعَامِ الْحَمِيرِ وَرِعَايَتِهَا .. وَلِذَلِكَ كَانَ دَرُوشُ
يُحَافِظُ عَلَى الْحَمِيرِ الثَّلَاثَةِ ، حَتَّى لَا يُصِيبَهَا مَكْرُوهٌ ، فَيُطَالِبَهُ
تَعْلُوبٌ بِثَمَنِهَا ..



وَذَاتَ يَوْمٍ كَانَ دَرَوِيشٌ يَسِيرُ خَلْفَ الْحَمِيرِ الْمُحْمَلَةِ بِالْحَطَبِ
إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَمُرَّ عِنْدَ نَقْطَةٍ فِي الطَّرِيقِ بِمُسْتَنْقَعِ
مَوْحِلٍ ، وَبَيْنَمَا كَانَ دَرَوِيشٌ شَارِدًا فِي أَفْكَارِهِ غَافِلَتُهُ الْحَمِيرُ ،
وَعَاصَتْ بِأَحْمَالِهَا فِي الْمُسْتَنْقَعِ ..

تَنَبَّهَ دَرَوِيشٌ مِنْ سُرُودِهِ ، فَلَمْ يَجِدْ أَىْ أَثَرٍ لِلْحَمِيرِ
وَلَا لِلْأَحْمَالِ ، وَوَجَدَ بَدَلًا مِنْهَا سِتَّ أَذَانٍ
طَوِيلَةٍ تَطْفُو فَوْقَ الْمِيَاءِ ، هِيَ كُلُّ مَا تَبْقَى
مِنَ الْحَمِيرِ الْغَائِصَةِ فِي الْوَحْلِ ..



وَقَفَ دُرُوشٌ يَنْدُبُ حَظَّهُ ، وَ يُفَكِّرُ فِي هَذِهِ الْمُصِيبَةِ الَّتِي
حَلَّتْ بِهِ .. مَاذَا سَيَقُولُ لِتَعْلُوبٍ ، وَكَيْفَ سَيَدْفَعُ لَهُ ثَمَنَ
الْحَمِيرِ الْغَارِقَةِ ، وَهُوَ يَحْصِلُ عَلَى قُوَّتِهِ وَقُوَّتِ أُسْرَتِهِ بِصُعُوبَةٍ ؟
وَحَلَّ الْغُرُوبُ ، فَأَنْهَارَ الْمِسْكِينِ وَسَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ ، وَهُوَ
لَا يَدْرِي كَيْفَ يَتَصَرَّفُ لِلخُرُوجِ مِنْ هَذَا الْمَازِقِ ، فَأَخَذَ
يَدْعُو أَنْ يَأْتِيَهُ الْمَوْتُ لِيُفَارِقَ هَذِهِ الْحَيَاةَ ..



وَيَيْنَمَا هُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ سَمِعَ وَقَعَ حَوَافِرِ حِصَانٍ
تَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ ، فَتَقَبَّهَا سَمَاعُ صَوْتٍ يَنَادِيهِ قَائِلًا :
- مَاذَا بِكَ يَا رَجُلٌ ، وَلِمَذَا تَجْلِسُ هَكَذَا حَزِينًا ؟
تَلَفَّتْ دُرُوشُ خَلْفَهُ ، فَرَأَى فَارِسًا فَوْقَ حَوَادِيهِ ، وَلَمْ يَكُنْ
هَذَا الْفَارِسُ سِوَى أَرْثُوبٍ نَفْسِهِ ، فَقَصَّ عَلَيْهِ مَا حَدَّثَ لَهُ مِنْ
غَرَقِ الْحَمِيرِ فِي الْمُسْتَنْقَعِ ، وَخَوْفِهِ مِنَ الْعُودَةِ إِلَى الْقَرْيَةِ ،
حَتَّى لَا يُطَالِبَهُ تَغْلُوبٌ بِثَمَنِ الْحَمِيرِ ..



نَظَرَ ارْتُوبُ إِلَى أَذَانِ الْحَمِيرِ الطَّافِيَةِ فَوْقَ الْمِيَاهِ ، وَفَكَرَ
قَلِيلًا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :

- أَبْشِرْ يَا رَجُلُ .. لَقَدْ تَحَوَّلَتْ مُصِيبَتُكَ إِلَى مَصْدَرِ سَعَادَةٍ
وَتَرَاءَ لَكَ ..

فَنَظَرَ إِلَيْهِ دَرْوِيشٌ مُتَعَجِّبًا : كَيْفَ ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَسَدُّ
لِتَغْلُوبِ ثَمَنَ حَمِيرِهِ الْغَارِقَةِ ..



فَقَالَ أَرْنُوبُ : سَوْفَ تَجْنِي ثَرَوَةً طَائِلَةً مِنْ هَذِهِ الْحَمِيرِ
الْغَارِقَةِ وَلَنْ تَكُونَ فِي حَاجَةٍ إِلَى اسْتِئْجَارِ الْحَمِيرِ مِنْ
تَعْلُوبٍ بَعْدَ الْيَوْمِ ..

وَبِرْغَمِ أَنْ دُرُوشًا لَمْ يَفْهَمْ شَيْئًا ، إِلَّا أَنَّهُ بَدَأَ يَشْعُرُ
بِالتَّقَاوُلِ مِنْ كَلَامِ أَرْنُوبِ ..

وَلَمَّا رَأَى أَرْنُوبُ كَذَلِكَ قَالَ لَهُ :

- خُذْ هَذَا الْجِوَالَ ، وَادْهَبْ إِلَى أَقْرَبِ مَكَانٍ تَوْجَدُ فِيهِ

أَشْجَارَ الْخَرْوَعِ ، وَاجْمَعْ أَكْثَرَ كَمِيَّةٍ
مِنْ بَذُورِ الْخَرْوَعِ ..



فَأَطَاعَهُ دُرُوشٌ وَحَمَلَ الْجِوَالَ مُتَوَجِّهًا إِلَى مِثْقَلَةٍ
تَنْمُو فِيهَا أَشْجَارُ الْخُرُوعِ بِغَزَارَةٍ ، وَبَدَأَ فِي جَمْعِ التَّمَارِ
الْجَافَةِ ، حَتَّى مَلَأَ الْجِوَالَ ؛ ثُمَّ حَمَلَهُ عَائِدًا إِلَى أَرْثُوبٍ ،
فَبَاتَا لَيْلَتَهُمَا بِجِوَارِ الْمُسْتَنْقَعِ ..

وَفِي الصَّبَاحِ ، قَالَ لَهُ أَرْثُوبٌ : ارْكَبْ حِصَانِي عَائِدًا
إِلَى بَيْتِكَ ، وَاحْمِلْ هَذَا الْجِوَالَ مَعَكَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُضَيِّعَهُ ،
فَبِإِنَّكَ لَنْ تَقْطَعَ نِصْفَ الطَّرِيقِ ، حَتَّى تَنْحَوِلَ بِدُورِ
الْخُرُوعِ إِلَى نَقُودٍ ..



فَنَظَرَ إِلَيْهِ دُرُويْشٌ مُنْذَهُشًا ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ شَيْئًا ..
فَقَالَ لَهُ أَرْنُوبٌ : إِذَا لَمْ يَتَحَقَّقْ مَا أَخْبَرْتُكَ بِهِ ، فَخُذْ
حِصَانِي ، وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ تَسِيرَ عَلَى مَهْلٍ ..
وَبِرْغَمِ أَنْ دُرُويْشًا لَمْ يَكُنْ مُقْتَنِعًا تَمَامًا بِمَا قَالَهُ لَهُ
أَرْنُوبٌ ، إِلَّا أَنَّهُ أَطَاعَهُ ، فَإِذَا لَمْ تَتَحَوَّلْ بِذَوْرِ الْخُرُوعِ إِلَى
نُقُودٍ ، فَهُوَ عَلَى الْأَقْلُ سَيَرْبِحُ جَوَادًا يُعَوِّضُهُ عَنِ
الْحَمِيرِ الْغَارِقَةِ ...



أَمَّا أَرْتُوب فَقَدْ تَرَبَّعَ عِنْدَ حَافَةِ الْمُسْتَنْقَعِ مُنْتَظِرًا قُدُومَ
شَخْصٍ مَا ..

وَلَمْ يَمُضْ وَقْتُ طَوِيلٍ ، حَتَّى ظَهَرَ تَعْلُوبُ رَاكِبًا حِصَانَهُ ،
وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى السُّوقِ ، فَلَمَّا رَأَى أَرْتُوبًا جَالِسًا عِنْدَ
حَافَةِ الْمُسْتَنْقَعِ نَظَرَ إِلَيْهِ فِي دَهْشَةٍ ، وَحَيَّاهُ سَاخِرًا :

إِيهَ يَا أَرْتُوب .. لِمَذَا تَجْلِسُ هَكَذَا عِنْدَ حَافَةِ الْمُسْتَنْقَعِ
كَالْأَحْمَقِ ؟



فَقَالَ ارْتُوب :

- الْأَحْمَقُ هُوَ الَّذِي يَنْظُرُ فَلَا يَرَى ، وَإِذَا رَأَى فَإِنَّهُ لَا يَفْهَمُ ..

هَلْ عَرَفْتَ مَنْ يَكُونُ فِيْنَا الْأَحْمَقُ يَا تَعْلُوب ؟

فَرَدَّ عَلَيْهِ تَعْلُوب :

- لَا دَاعِيَ لِلْفِّ وَالْدَّوْرَانِ .. سَأَلْتُكَ لِمَاذَا تَجْلِسُ هَكَذَا .

فَقَالَ ارْتُوب :

- أَنَا جَالِسٌ هُنَا لِكَيَّ أَحْرُسَ زَّرْعِي ..



فَقَالَ تَعْلُوبُ بِدَهْشَةٍ :

- وَأَيُّ شَيْءٍ زُرَعْتَ فِي هَذَا الْمُسْتَنْقَعِ ؟

فَقَالَ أَرْنُوبُ :

- انْظُرْ وَسَوْفَ تَرَى بِنَفْسِكَ ..

فَأَجَالَ تَعْلُوبُ بَصَرَهُ فَوْقَ مِيَاهِ الْمُسْتَنْقَعِ ، ثُمَّ انْفَجَرَ ضَاحِكًا وَقَالَ :

- أَنَا لَا أَرَى سِوَى آذَانٍ حَمِيرٍ تَبْرُزُ مِنَ الْوَحْلِ ..



فَقَالَ ارْتُوبُ : اِذَا اُنُ الْحَمِيرِ هِيَ الثَّبْتُ الَّذِي خَرَجَ مِنْهَا
زُرْعَتُهُ ..

فَصَاحَ تَعْلُوبُ مُتَعَجِّبًا : هَلْ هَذَا صَحِيحٌ ؟

فَقَالَ ارْتُوبُ : بِالْأَمْسِ فَقَطْ بَذَرْتُ بُذُورَ الْحَمِيرِ ، وَهِيَ هِيَ ذِي
الْيَوْمِ قَدْ نَبَتَتْ ..

فَنَظَرَ إِلَيْهِ تَعْلُوبُ مُتَشَكِّكًا : لَقَدْ سَمِعْتُ عَنْ زِرَاعَةِ
الْأَشْجَارِ وَالْحَبُوبِ ، لَكِنِّي لَمْ أَسْمَعْ مِنْ قَبْلُ بِزِرَاعَةِ الْحَمِيرِ ..

فَقَالَ ارْتُوبُ : مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ يَعْرِفَ الْمَرْءُ كُلَّ شَيْءٍ
فِي الْحَيَاةِ ، أَنَا أَيْضًا كُنْتُ مِثْلَكَ حَتَّى الْأَمْسِ ..



فَقَالَ لَهُ تَعْلُوبُ : وَمَنْ أَيْنَ حَصَلْتَ عَلَى بَذُورِ الْحَمِيرِ ؟
 فَقَالَ ارْتُوبُ : اشْتَرَيْتُهَا مِنْ شَخْصٍ أَتَى بِهَا مِنَ الْمَدِينَةِ ،
 كَانَ يَحْمِلُ جِوَالًا مَلِيًّا بِبَذُورِ الْحَمِيرِ ، لَكِنْ لِلْأَسَفِ لَمْ تَكُنْ
 مَعِيَ نَقُودٌ كَافِيَةٌ لِأَشْتَرِي مِنْهُ بَقِيَّةَ الْجِوَالِ .. بَعْدَ أَيَّامٍ
 سَوْفَ يُصْنَعُ لَدَيَّ قَطِيعٌ مِنَ الْحَمِيرِ ..
 فَقَالَ تَعْلُوبُ : وَكَيْفَ أَغْتَرُ عَلَى هَذَا الشَّخْصِ ؟
 فَقَالَ ارْتُوبُ : إِنَّ اسْمَهُ دَرُوشِشَ ، وَقَدْ كَانَ هُنَا مِنْذُ قَلِيلٍ
 وَمَضَى عَلَى حَصَانِهِ ..



فَقَالَ تَعْلُوبٌ سَعِيدًا : دَرَوِيشَ الْحَمَارُ ١٥. لَدَيْهِ حِصَانٌ ١٦
 فَقَالَ ارْتُوبُ : : لَقَدْ اغْتَنَيْتَ مِنْ بَيْعِ بُذُورِ الْحَمِيرِ ..
 فَقَالَ تَعْلُوبٌ : سَتَوْفَ الْخُفَّ بِهِ وَأَسْتَرِي كُلَّ مَا مَعَهُ مِنْ
 بُذُورِ الْحَمِيرِ ، مَهْمَا كَانَ الثَّمَنُ الَّذِي يُطْلَبُ ..
 وَأَنْطَلَقَ تَعْلُوبٌ فَوْقَ حِصَانِهِ حَتَّى لَحِقَ بِدَرَوِيشَ ، فَلَمَّا
 رَأَاهُ دَرَوِيشَ خَافَ مِنْهُ ، وَظَنَّ أَنَّهُ جَاءَ يُطَالِبُهُ
 بِثَمَنِ حَمِيرِهِ الْغَارِقَةِ .. لَكِنْ تَعْلُوبًا طَمَآنَةً إِلَى
 أَنَّهُ جَاءَ يَسْتَرِي مِنْهُ بُذُورَ الْحَمِيرِ
 بِثَمَنِ بَاهِظٍ ..



اشْتَرَى ثَعْلُوبُ الْجَوَالِ الْمَلِيءُ بِبُذُورِ الْخَرْوَعِ ، وَبَدَأَ فِي
زِرَاعَتِهَا ، كَمَا عَلَّمَهُ ارْتُوبُ ، ثُمَّ جَلَسَ يَنْتَظِرُ خُرُوجَ
النَّبَاتَاتِ مِنَ الْأَرْضِ ، وَيُرْوِزُ آذَانَ الْحَمِيرِ ، لَكِنَّ شَيْئًا مِنْ
ذَلِكَ لَمْ يَحْدُثْ أَبَدًا ، وَنَجَحَتْ خُدْعَةُ ارْتُوبُ ، فَاصْنَبَحَ
دَرُوشُ رَجُلًا ثَرِيًّا وَاسْتَرَاحَ مِنَ الْعَمَلِ كَحَمَارٍ
وَاسْتَتَجَارَ الْحَمِيرَ مِنْ ثَعْلُوبِ الْجَشْعِ .

(تَمَّت)

